

مختصر ابن كثير

99 - حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون .

100 - لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون .

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا قال : { رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت } كقوله : { ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون } وقال تعالى : { وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل } وقال تعالى : { وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل } الآية فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وهم في غمرات عذاب الجحيم وقوله ههنا : { كلا إنها كلمة هو قائلها } كلا حرف ردع وزجر أي لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه . وقوله تعالى : { إنها كلمة هو قائلها } قال ابن أسلم : أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر طالم ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله { كلا } أي سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولو رد لما عمل صالحا ولكان يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى : { ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون } . قال قتادة : وإنا ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار . وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة : إذا قال الكافر رب ارجعون لعلي أعمل صالحا يقول الله تعالى : كلا كذبت وكان العلاء بن زياد يقول : لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى . وقال قتادة : وإنا ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة إلا بالله . وعن أبي هريرة قال : إذا وضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار قال : فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحا قال : فيقال : قد عمرت ما كنت معمرا قال : فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوي إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها (أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة موقوفا) . وعن عائشة B أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم . حية عند رأسه وحية عند رجله يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى : { ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون } (أخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة موقوفا) . قال مجاهد

: البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة . وقال محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم وقال أبو صخر : البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون إلى يوم يبعثون في قوله تعالى : { ومن وراءهم برزخ } تهديد لهؤلاء المحتصرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى : { ومن وراءهم جهنم } وقال تعالى : { ومن وراءه عذاب غليظ } وقوله تعالى : { إلى يوم يبعثون } أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث : " فلا يزال معذبا فيها " أي في الأرض